جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أهل البيت عليهم السلام

جامعة أهل البيت عليهم السلام
بوابة البحوث

http://abu.edu.iq

كربلاء في شعر رضا الخفاجي

Karbala In Redha al-Khafaje's Poetry

أ.د. عبود جودي الحلي[1]
Prof. Dr. Abbud al-Hilly
م. م. زينب عزيز الموسوي
Zainab Aziz al-Mousawi

ملخص

يُعد الشاعر رضا الخفاجي من شعراء كربلاء الذين سخروا امكانياتهم لخدمة مدينتهم، فهو شاعر ومؤلف مسرحيات وكلها تنصب بخدمة الامام الحسين عليه السلام وكربلاء ولم يكتسب الشاعر بشعره بل كان يعمل متطوعاً لخدمة القضية الحسينية، الفاظ الشاعر واضحة وبعيدة عن الغموض وصورة متلائمة مع الالفاظ.

كان التأثير القرآني واضحاً في شعره (كأقتباس الآيات القرآنية) وتضمينها في شعره.

وأخيراً مكن القول بأن الشاعر من الشعراء المخلصين وظفوا كل امكانياتهم لخدمة مدينتهم ولنصرة الحق والاسلام.

Summary

The poet Reza al-Khafaji of the poets of Karbala who mocked their potential to serve their city, he is a poet and author of the plays and all focused service of Imam Hussein عليه السلام and Karbala has not acquired the poet his poetry, but he was working volunteers to serve the cause Husseiniya, the words the poet and clear and far from the mystery and image compatible with the vocalizations.

The effect was evident in the Qur'an and poetry (Koguetbas Quranic verses) and included in his hair.

١ -جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Finally allowed to say that the poet of poets, loyal and employed all their potential to serve their city and support the right and Islam

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد...

تعد مدينة كربلاء المقدسة من المدن الإسلامية الخالدة فلها قصة من الزمان خطتها دماء الشهداء، لتبقى أبد الدهر رمزاً للتضحية والإباء وعنواناً للحق والكرامة.

فلحظة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كانت بداية جريان نبع فياض ارتوى منه المسلمون على مر العصور وباحتضان كربلاء للشهيد الطاهر احتضنت المعاني الروحية والقيم الإنسانية النبيلة.

فليس غريباً أن نرى شعراء المدينة يسخرون أقلامهم وأشعارهم لإبراز دور كربلاء الديني والثقافي وهذا ما ذهب عليه الشاعر رضا الخفاجي الذي لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده بذكر كربلاء حتى كأنه سخر نفسه لكربلاء فهو بحق شاعر المدينة.

ولقد كان وراء اختيار الباحثة هذا الموضوع أسباب من أهمها الوفاء للمدينة المعطاء التي روت العالم بأكمله العطاء.

وتسليط الضوء على رجالها المخلصين الذين ما انفكوا يعرفون العالم بكربلاء وقد إنماز نتاج الشاعر بالمميزات الفنية التي تستحق الوقوف عندها ودراستها.

ولقد قسم البحث على فصلين سبقهما تمهيد، تضمن نبذة عن حياة الشاعر، أما الفصل الأول فكان يبحث في موضوع كربلاء الرمز وذلك أن كربلاء عند الشاعر لم تكن مدينة مقدسة فحسب بل ضمت رموزاً مختلفة. أما الفصل الثاني خصص لدراسة الألفاظ الشعرية ثم أعقبت ذلك بخاتمة ضمت أبرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

وقد شمل عمل الباحثة تحليل النصوص الشعرية وتعليلها، أما المصادر التي اعتمدت عليها. شعر الشاعر الذي لم يكن كله مطبوعاً في كتاب واحد بل عبارة عن قصائد متفرقة احتفظ بها الشاعر ورتبها بحسب تواريخها وموضوعها، وكان ذلك وحده احدى الصعوبات التي واجهت الباحثة خلال هذا البحث.

وإنا لنرجوا أن نكون قد وفقنا في تقديم عمل يخدم مدينة الحسين عليه السلام ويضيف إليها جديداً ما دامت النية الصادقة والقصد نبيلاً والجهد مبذولاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

التمهيد

الشاعر هو رضا كاظم جواد البناء الخفاجي، كربلائي المولد والهوية والهوى، حاصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية ١٩٧٣.

عمل في وزارة الإعلام العراقية لمدة (ستة سنوات) وقدم استقالته نتيجة لمضايقات النظام الصدامي. يمارس مهنة الصياغة التي ورثها عن أبيه كما ورث الشعر. عضو مؤسس اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين في كربلاء المقدسة. مدير المسرح الحسيني في العتبة الحسينية المقدسة ورئيس مجلة المسرح الحسيني [٢]. عرف بحسن الأخلاق والتتبع [٣] وصفته أكثر من ناقد بأنه شاعر المدينة فقد نذر كل إمكانياته وطاقاته الإبداعية إلى كربلاء. فهو يرى العالم كله من خلالها وكربلاء بالنسبة له العالم.

أسهم في الكتابة إلى المواكب الحسينية ويكتب إلى مواكب جامعات العراق – الاتحاد الإسلامي للطلبة – وكتب إلى جامعة كربلاء وجامعة أهل البيت لسنوات عديدة، ويكتب كل عام إلى مواكب عزاء الصاغة مستهلات حسينية في أيام عاشوراء ويكتب إلى موكب عزاء باب الطاق – حيث محل ولادته – كما كان والده يكتب إلى ذلك العزاء لأكثر من أربعين عام، قرأ ويقرأ له الكثير من الرواديد الحسينيين على المنابر. الشاعر أول من نادى إلى تأسيس مسرح حسيني وقد تم ذلك بفضل الله وجهد الشاعر المثابر.

نتاجه الأدبي :

عرف رضا الخفاجي بكتاباته المسرحية التي خصها بقضية الإمام الحسين عليه السلام فالمسرح عنده مسرح حسيني وله العديد من المسرحيات منها :

١. المسرحية الشعرية – صوت الحر الرياحي – دار التوحيد للنشر والتوزيع ٢٠٠٧م وهي مترجمة إلى اللغة الإنكليزية ومن المؤمل أن تدخل في المنهج التدريسي في الجامعات العراقية.
٢. المسرحية الشعرية – صوت الحسين – دار التوحيد للنشر والتوزيع ٢٠٠٨م.
٣. المسرحية الشعرية – قمر بني هاشم – العباس بن علي – قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة ٢٠٠٩م.
٤. كتاب نظرية المسرح الحسيني / قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية ٢٠٠٩م.
٥. مسرحية سفير الحوراء زينب عليها السلام قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية.
٦. مسرحية آيات اليقين في سفر أم البنين / قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية.
مسرحية سفير النور : مسلم بن عقيل عليه السلام ، دار التوحيد الكوفة.
٧. مسرحية سفر التوبة والثورة تجسد ثورة التوابين والمختار الثقفي – بيروت.
٨. مسرحية بهجة الدماء في سفر كربلاء، مسرحية معاصرة تجسد الانتفاضة الشعبانية المباركة التي حدثت ١٩٩١م، دار التوحيد، الكوفة.

٢– حيث يعمل الشاعر متطوعاً وليس موظفاً ويدير الأعمال الأدبية من محله للصياغة هذا ما ورد على لسان الشاعر في لقاء مع الباحثة في ٧ / ٢ / ٢٠١٣.

٣– ينظر : معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء / سلمان آل طعمة، ص٧٩.

وله أعمال في السينما حيث كتب عدداً من السيناريوهات وهي منفذ منها :

١. أحزان كربلاء.
الشهيد زين بن علي بن الحسين عليه السلام.
٢. الدكتور المرحوم خالد الذكر – الشيخ أحمد الوائلي.
٣. سنوات المحنة – عن معاناة الشعب العراقي في الزمن الدكتاتوري.
٤. خدام المنبر الحسيني الذائع الحسيني – الشيخ جاسم الطويرجاوي.

وكتب سيناريو فلم روائي عنوانه (ثار الله) يجسد الملحمة الحسينية الخالدة بأسلوب معاصر يستغرق (١٤٠) دقيقة سينمائية ويأمل الشاعر أن ينجز هذا العمل قريباً، وفي المجال الشعر قصائد الشاعر لم تجمع جمعاً في ديوان وما تزال معظم قصائده مكتوبة بخط يده. أما ما طبع منها :

١. فاتحة الكرنفال : مجموعة شعرية صادرة عام ١٩٨٨م في بغداد.
٢. بيضاء يدي : مجموعة شعرية صادرة عام ٢٠٠١م الشؤون الثقافية.
٣. مراسيم الولاء – في محنة عاشوراء : شعر شعبي حسيني، دار الأنصار ٢٠٠٧م.
٤. أرجوزة كربلاء – من إصدار الأمانة العامة للعتبة الحسينية ٢٠١٣م.
٥. كربائيلو – نص شعري متنوع – دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠١٣م. من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٣م.

وله كتاب مترجم للغة الإنكليزية يضم عدداً من المسرحيات مع كتاب نظرية المسرح الحسيني مع دراسة مقارنة بين المسرح الحسيني ومسرح الكتاب الألماني – بريخت – مؤسس المسرح الملحمي وهو من إصدارات العتبة العباسية المقدسة، وقد اعتمد في الجامعات العراقية لكي يدرس لطلبة كليات اللغات / قسم اللغة الإنكليزية.

كربلاء الرمز :

لم تكن كربلاء مجرد مدينة لها تاريخها المشرف وخصائصها الجغرافية فحسب بل شكلت رمزاً للفخر والإيثار والمجد. قال الشاعر [٤] :

قدست نورك مذ تقدس بالدما ... إذا صار في كل الملاحم أعظما
يا كربلاء المجد، من ذا يرتقي ... لبهاء جودك، يوم حيته السما
يا كربلاء الفخر، منذ تدفقت ... فينا الحياة، فلم نبايع آثما

فكربلاء هي القدسية منذ استشهاد الحسين عليه السلام وهي أبية رافضة للظلم ولم تبايع أو تهادن آثماً [٥].
ولم تكتفِ المدينة بان تكون أبية وشامخة فهي تزهو أيضاً. قال الشاعر [٦] :

٤– القصيدة مخطوطة في خزانة الشاعر كتبت بتاريخ ١٤ / ١ / ٢٠٠٥ وتقع في عشرين بيتاً شعرياً.
٥– الشاعر في هذا البيت يعبر عن موقفه الشخصي الرافض للمهادنة منذ النظام الصدامي البائد وهو يكتب عن كربلاء ورفضها للظلم وإيثارها ودورها التاريخي ولم يمجد النظام ولا في بيت واحد من شعره بل كانت كتاباته كما هي الآن عن كربلاء والحسين ولكنه في العهد البائد كان متحفظاً لا أكثر.
٦– مخطوط قصيدة بعنوان إلى سيدي الحسين الخالد – تقع في ٤٦– بيت.

هـــذا ذبـــيح الطـــف أحيـــا ســـنة بدمائـــــه آلاءهـــــا تتجـــــدد
وقـــد زهـــت أرض الطفـــوف وأينعـــت بدمائـــــه معطاؤهـــــا متجـــــدد

بالرغم من أن الشاعر ذكر واقعة الطف التي طالما ذكرها الشعراء وجسدوها في أشعارهم بصور الحزن والأسى إلا ان الشاعر يؤمن بأن دم الشهادة أضحى زاهياً معطاءً يروي الظمآن ويتجدد في كل مكان وهو نوع من أنواع الرثاء البعيد عن ذرف العبرات القريب من الصمود والتحدي [٧].

وقال في موضوع آخر [٨] :

فهذي كربلاء اليوم تزهو بإيثار تطاول لا يجاري

فالشاعر ينظر إلى كربلاء بأنها متألقة زاهية وقد ذكر ذلك في أكثر من موضع [٩] :

في كل عصر كربلاء جديدة يزهو بها صوت الحسين ولاؤه

فكربلاء عظيمة بعظمة ثورة الإمام الحسين عليه السلام وعلت بعلوه عليه السلام.

قال الشاعر [١٠] :

مذ قلت : لا للبغي كنت المشعلا نهضت بجودك واستطالت كربلا

يحار الفكر من قضية الإمام الحسين عليه السلام في رفضه للظلم لماذا كل هذه الديمومة، كثيرون هم الواقفون ضد الظلم والاستبداد فلماذا كان الحسين عليه السلام رمزاً شامخاً على مر العصور، لعل نسبه عليه السلام من أهم تلك الأسباب لأنه سلام الله عليه الامتداد الرسالي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد يكون السبب الآخر هو أن للحق والباطل معركة مستمرة على مر العصور، وبوقفة الإمام الحسين عليه السلام ضد الظلم تلك الوقفة التي مثلت الحق كله ضد الظلم كله فهي معركة الحق الحسيني ضد الباطل الأموي وكما يقول الشاعر هذه المعركة حددت مستقبل الإسلام. قال [١١] :

مستقبل الإسلام صيغ بكربلاء ودماؤك انتجبت لذاك المآرب

إنها لالتفاتة ذكية للشاعر فالحسين لم يكن رمزاً لفئة أو طائفة دون أخرى، فالحسين عليه السلام موحد المسلمين وجامع شملهم ضد الباطل.

وكربلاء مستقبل الإسلام وهي بدايته وفيها تكسرت الأصنام. قال الشاعر [١٢] :

ثقل الإمامة قد تجلى نوره في كربلاء يحطم الأصناما

بل راح الشاعر إلى أبعد من ذلك فكربلاء لها قدسية منذ بدأ الخلق.

٧- ينظر : مقتل الحسين ذكر في كتب عديدة منها كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣١٤هـ-، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص١١٠/٥ ؛ وتاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ت ٥٧١هـ-، تحقيق : أبو عبد الله عاشور الجنوبي، دار أحياء التراث العربي.

٨- مخطوطة بعنوان إلى سيد الحسين الخالد - تقع في ٤٦- بيت.

٩- مخطوطة بعنوان نور العصور - تقع في ٢٣- بيت.

١٠- مخطوطة بعنوان مذ قلت لا - تقع في ٣٠- بيت كتبها الشاعر في رمضان ١٩٩٨م.

١١- مخطوط بعنوان إلى سيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء الإمام الحسين الخالد - تقع في ٣٠- بيت.

١٢- مخطوطة بعنوان إلى الحسين الخالد - تقع في ست وعشرين بيت.

كـــربلاء المجـــد فـــازت بجـــدارة ... فهـــي مـــن رســـخ تـــاريخ الحضـــارة
قبـــل بـــدأ الخلـــق كانـــت روضـــة ... مـــن ريـــاض النـــور تحظـــى بالإمـــارة
زادهـــا الـــرحمن عـــزاً حينمـــا ... نصـــرت نهـــج الحســـين وشـــعاره (١٣)

فكربلاء مدينة مقدسة، مدينة للعلم والحضارة ولو لم تكن كذلك لما استطاعت أن تضم عنوان التضحية والنهج الإسلامي القويم.

منـــذ ابتـــداء الخلـــق شـــع ســـنا ... الإيمـــان فـــي محرابـــك العطـــر
منـــذ ابتـــداء الخلـــق أنقـــذنا ... نفـــح القداســـة مـــن لظـــى ســـعر
منـــذ الشـــهيد الســـبط صـــرت هـــوى ... للهـــائمين بغرســـه الثمـــر (١٤)

بداية الخلق مثل بداية سفك دم الشهادة المقدس كلاهما بداية لعبادة الواحد الأحد. شمخت كربلاء بالإباء والعز فهي رمز للإسلام ونهاية الجاهلية وهي المستقبل والأمل وهي أبعد من ذلك فكان لها من القدسية من أنها تهلك من أراد بها السوء.

فهـــذه كـــربلاء العـــز خالـــدة ... والحاقـــدون عليهـــا كلهـــم قبـــروا
فكـــربلاء ونـــور الســـبط يلهمهـــا ... أضـــحت شـــعاع لأهـــل الأرض ينتشـــروا
وســـفرها خالـــدٌ ســـل عـــن مآثرهـــا ... فكـــربلاء إلا بابـــاً بـــالجود تفخـــروا
أرض الشـــهادة يكفـــي أن فـــي دمهـــا ... وهجـــا تقاتـــل منـــه كـــل مـــن كفـــروا (١٥)

وكربلاء عصية على الطغاة لكنها محبة للمسلمين.

مـــا هادنـــت – فـــي الله – أي أثـــم ... ولا بغـــت فـــي الأرض كـــي تـــبجلا
ديـــدنها – الحـــب – وآيـــات الغـــدا ... ســـعت لنيـــل المجـــد ســـعياً شـــاملا (١٦)

وكربلاء تعنى الحسين عليه السلام تعني واقعة الطف ومهما صور الشاعر تلك المدينة بالزهو والإباء والمجد هو لن ينس ما حل بأهل البيت عليهم السلام من مصائب فيها :

فـــأن مـــا هـــل بـــوادي كـــربلاء ... يرســـخ الـــدليل بالبرهـــان
لـــم تكتـــف الأحقـــاد فـــي غايتهـــا ... فقـــد بغـــت بنشـــوة العـــدوان
فعلقـــت رؤوس أهـــل المصـــطفى ... علـــى القنـــا بســـائر البلـــدان (١٧)

١٣- مخطوطة كتب في ٢ / ٣ / ٢٠١٢ تقع في أثني عشر بيت.
١٤- مخطوطة بعنوان إلى قدسيتي كربلاء – كتب في آذار ٢٠٠٥م تقع في ثلاث وعشرين بيت.
١٥- مخطوطة كتبت في ٢٠٠٨ – ٢٠١١م تقع في عشرين بيتاً.
١٦- أرجوزة كربلاء من منشورات الأمانة العامة للعتبة الحسينية، ص٨.
١٧- المصدر نفسه، ص١٤.

واقعة الطف حاضرة وسجلها الشاعر كما سجلها أغلب الشعراء الذين رثوا الإمام الحسين وما حصل بآل البيت عليهم السلام [١٨].

وكل شيء في كربلاء له معنى ورمز وخصوصية تربتها تشفي المريض، وصباحها مضيء وليلها متعبد ناسك.

تربتهـــا مـــن فضـــله، شـــفاء ... وماؤهـــا مـــن طهـــره نقـــاء
ربوعهـــا مـــن خصـــبه نمـــاء ... وأهلهـــا مـــن نهجـــه إبـــاء
وصـــبحها مـــن صـــبحه وضـــاء ... وليلهـــا مـــن نســـكه بهـــاء [١٩]

وليس طبيعة كربلاء لها خصوصية فقط بل وسكانها لهم خصوصية أيضاً.

أطفالها لنهجه فداء ... أشبالها بنسله اقتداء
نسائها لأهله انتماء ... رجالها من عزمه بناء [٢٠]

ليس الذي يولد في أرض كربلاء هو كربلائي بل كُلَّ من انتمى للحسين هو كربلائي كل من رفض الباطل هو كربلائي لأن كربلاء زهت بحب الحسين وتقدست به :

أحبت الحسين كربلاء ... فهو هواها وهو الفضاء [٢١]

وهذا الحب تجسد بأبناء كربلاء الذين يعرفون بالفضل والإحسان.

مـــن نعـــم الله علـــى –كربلـــه– ... أعزهـــا بنخبـــة فاضـــلة
أبنائهـــا مـــن معـــدن يرتقـــى ... عنـــد الملمـــات علـــى المعضـــلة
أرواحهـــم بحبهـــا تنشـــئ ... فيبـــذلون الـــنفس عنـــد النازلـــة
قـــد شـــهد التـــاريخ أمجـــادهم ... ووجـــودهم بحربهـــا العادلـــة [٢٢]

ولهذا كله كانت كربلاء مستهدفة من الحاقدين في كل عصر وباستهدافها تستهدف الوحدة الإسلامية.

قـــد يســـأل الـــبعض لمـــاذا كربلـــه ... أكثـــر مـــن تعرضـــت للـــبلا
فجـــوهر الصـــراع فـــي بقائهـــا ... رائـــدة لتنشـــر آيـــات العـــلا
فهـــي التـــي كانـــت بـــوهج بـــدلها ... ومـــا تـــزال مرتفعـــاً ونهـــلا
وهـــي صـــميم الحـــق فـــي وثبتهـــا ... ونهـــج أهـــل البيـــت فيهـــا بجـــلا
فكـــربلاء النـــور تبقـــى آيـــة ... رغـــم رمـــاح الحقـــد ظلـــم أمـــلا [٢٣]

١٨- ينظر : مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته، ص٧٢ ؛ تاريخ اليعقوبي، أحمد أبي يعقوب جعفر بن وهب المعروب باليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ٢ / ١٠٠ ؛ الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن بن أبي مكرم محمد عبد الكريم عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣م، ٤ / ٤٦.

١٩- أرجوزة كربلاء، من إصدارات الأمانة العامة للعتبة الحسينية، ص١٦.

٢٠- المصدر نفسه، ص١٦.

٢١- المصدر نفسه، ص١٦.

٢٢- المصدر نفسه، ص١٧.

٢٣- أرجوزة كربلاء، من إصدارات الأمانة العامة للعتبة الحسينية، ص٢٢.

فكربلاء عند الشاعر رمز الحضارة ورمز لبداية الخلق وهي مستقبل الإسلام، وهي رمز للحق على مدى العصور، وقد ظهرت وشرفت بالحسين عليه السلام وحب كربلاء يسري في دم الشاعر فلم يستطع ولم يرد أن يهاجر عنها بالرغم من المضايقات الأمنية له في الزمن الصدامي وكان يخفي حبه وتعلقه بمدينة الحسين عليه السلام في شعره الذي كان عبارة إيمائات غفلت عنها الرقابة أحياناً وفي أحيان أخرى فهمت قصد الشاعر كما حصل لمجموعته الشعرية (بيضاء يدي) التي منعت من النشر لخمس سنوات. فقد قرر الشاعر في مجموعته تلك البقاء والصمود دون أن يلوث بالفكر البعثي الهدام حيث قال :

أمكث
كي لا يستفحل داء التغريب
وتهتك قدسية أحزاني
أمكث
كي لا تسجدي الروح فتات موائدهم
أمكث في الذات. أحرارها
تخرج بيضاء يدي [٢٤].

فقد قرر الشاعر البقاء لكن بقاءه كان بصمود وإباء ولم يكتب بيتاً شعرياً في مدح الطاغية بل بحنكته وذكائه وظف شعره لخدمة كربلاء وحب الوطن وكانت كتاباته تضم في ثناياها الشاعر المجاهد الصابر الذي قرر أن تمتزج روحه مع الوطن ولا يفارقه لا جسداً ولا روحاً.

مما لاشك فيه أن الأدب في أبسط تعريفاته (فن وسيلته اللغة) [٢٥] فمن اللغة تتشكل القصيدة وتأخذ وجودها الحسي الصوري والإيجابي، لذلك لا شعر بلا لغة.

وجماليات اللغة يمكن أن نتلمسها من خلال استخدام الشاعر لها استخداماً فنياً تراعى فيه متطلبات العملية الشعرية فتأخذ اللغة شكلاً يستقل عن سواه من خلال مجموعة من الألفاظ والمعاني والأسلوب الذي تنضوي على إيحاءات مكثفة وتوظيف إيقاعي ينظم حركة الألفاظ داخل البنية الشعرية [٢٦]. فالشعر استخدام خاص للغة [٢٧].

واللغة تكيف من خلال ألفاظ ومعاني الشاعر عن أعمق الحالات الوجدانية تفرداً وخصوصية في رؤيته لموضوعه.

لذا كانت اللغة وسيلة الشاعر في التعبير عن تجاربه وأفكاره وعواطفه والتي بدونها لا يمكن للسامع معرفة ذلك والاستجابة له.

٢٤- بيضاء يدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١، ص٧.
٢٥- مقدمة في النقد الأدبي، على جواد الطاهر، بغداد، منشورات المكتبة العالمية، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص٣٣.
٢٦- ينظر : لغة الشعر بين جيلين، إبراهيم السامرائي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ص١٠.
٢٧- ينظر : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيث درو، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، بيروت، منشورات مكتبة متمية، ص١٢٥.

ومن المعروف أن ألفاظ الشاعر ومعانيه تختلف من تجربة إلى أخرى ومن حالة إلى أخرى عند الشاعر نفسه، وأن لكل حالة من الحالات لفظ معين وأسلوب خاص وأن انتفاء الألفاظ والأساليب تشير إلى وشائج الارتباط الوثيق بوجدان الشاعر لخلق حالة من معادلة الانتزاع بالقيمة الشعورية وتحويلها إلى قيمة تعبيرية تصطف مع الحالة السلوكية.

فشيوع ألفاظ معينة في الشعر يوحي إلى حالة نفسية تتراكم عليها شبكة لفظية ذات دلالات معنوية ونفسية.

الألفاظ

لغة اللفظ هو (أن ترمي بشيء كان فيك يقال لفظت الشيء من فمي رميته) [٢٨] أما اصطلاحاً فالألفاظ هي أصوات لها دلالات معينة [٢٩].

وقد اهتم النقاد العرب بالألفاظ وأكدوا عليها، لأن المعنى الشريف عندهم مرتبط باللفظ الشريف [٣٠].

وللألفاظ أهمية كبيرة لكونها المادة الأساس في لغة الشعر ولها أهمية في بناء النص الأدبي لأن النص يعتمد على التعبير والشعور [٣١]

فمن خلال الألفاظ يستطيع الشاعر أن يوصل أفكاره وينقل مشاعره إلى الآخرين [٣٢]. والألفاظ مهمة في بناء العمل الفني بل هي الركن الرئيسي لكل عمل أدبي ومن أقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته الجمالية والأداء الفني أساسه الدقة في اختيار اللفظة ووضعها في بيئتها وامتزاجها مع معناها [٣٣].

فالأديب المرهف هو الذي يوفر للألفاظ جواً من اللغة والالتئام فيما بينها [٣٤] ويخلق الشاعر من الألفاظ العادية قطعاً سحرية يمنحها من روحه وإبداعه قوة دفع جديدة ويعطيها زخماً حيوياً يؤهلها لأن تلامس مشاعره وتعانق عواطف وتدور حول مداره [٣٥].

لذلك يحرص كل شاعر على انتقاء ألفاظه لأنها غاية ومبتغاة في كل عمل يقدمه. فالكلمات تعني أشياء في ذاتها فاللفظة عند الشاعر كالألوان عند الرسام والأنغام عند الموسيقى فكما أن الألوان أشياء في

٢٨- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري الأفريقي ت ٧١١هـ-، حققه عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، مادة لفظ.

٢٩- ينظر : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث اللغوي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٨٥.

٣٠- ينظر : البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، دار جبل، بيروت، ج١، ص١٣٦.

٣١- ينظر : التصوير الفني في القرآن الكريم دراسة تحليلية -، جبر صالح حمادي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٧٠.

٣٢- ينظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، بيروت.

٣٣- ينظر : النشر الفني وأثر الجاحظ فيه، عبد الحكيم بلبع، طبعة لجان البيان العربي، الطبعة الثانية، ١٩٦٩، ٢١٦.

٣٤- ينظر : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة، القاهرة، طبعة الأنجلو، ص٢٦٦.

٣٥- ينظر : الشعراء السود وخصائصهم في الشعر، عبدة بدوي، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٧٥.

ذاتها وليس أدوات أو وسائل للمعنى العقلي فكذلك الكلمة اللغوية عند الشاعر ليست دلائل لمعان محددة تؤديها وإنما هي أشياء وقد قرر الجاحظ أن المعاني المطروحة في الطريق يأخذها من يشاء وإنما العبرة باللفظ ووافقه بعد ذلك أبو الهلال العسكري (٣٦).

ونحن نوافق الجاحظ والعسكري على ضرورة العناية في انتقاء اللفظ وجودة السبك ولا نؤديهما في كون المعاني المبذولة في الطريق.

الألفاظ الرخيصة في متناول أيدي الجميع فالفن الناضج والأدب الجيد يستوجبان يلائماً وتواؤماً بين اللفظ والمعنى، بين الشكل والمضمون ويتطلبان العناية والاهتمام بهما على حد سواء بحيث يتساوقان ويتوازنان فلا يتقدم المعنى ويتأخر اللفظ ولا العكس.

وبذلك بتحقق كلاهما معنيا لا يمكن الفصل بينهما. فيتألف اللفظ مع المعنى ويتحدد الموضوع بالشكل.

ومن خلال تتبع الألفاظ التي استعملها الشاعر رضا نجد سمة الوضوح في هذه الألفاظ هي السمة الغالبة إذ أنه كان يميل إلى الوضوح والسهولة والابتعاد عن التعقيد اللفظي في أغلب قصائده التي كتبها فالشاعر صاحب قضية يريد إيصالها إلى أكبر عدد من الناس فهو الشاعر عبر عن واقع تاريخه لمدينة كربلاء انمازت الناصحة بالسلالة والوضوح.

وكربلاء اسم تكرر في قصائده كلها بل أن بعض قصائدها يذكر فيها كربلاء في أكثر من موقع دون أن يؤثر ذلك التكرار على جمال اللفظ وانسجامه مع المعنى.

فحين ينشد الشاعر شعره يكون الوضوح ولا مكان لألفاظ تحتاج إلى تفسير معجمي. فهو شاعر لكل الناس وليس لفئة دون أخرى، شاعر يدافع عن العقيدة وعن الوطن وها هو ذا في قصيدة هواك هداني (٣٧) يقول :

هـــواك هـــداني إلـــى الأكـــرم ... ونـــورك أزهـــر فـــي عـــالمي
وبـــذلك أحيـــا نشـــيد الحيـــاة ... فصـــار طريقـــي ودفـــق دمـــي
حســـين إمـــامي وهـــل فـــي الوجـــود ... حســـين ســـواه لـــه أنتمـــي

فالشاعر صاحب قضية وفكر ألفاظه سلسلة المعاني واضحة الأفكار، ولعله أراد إيصال شعره إلى كل الناس فأبتغى هذا الأسلوب.

بما أن كربلاء هي الهواء الذي يتنفسه الشاعر فلم يترك أماكن كربلاء دون أن تكون حاضرة في شعره فله (٣٨) :

٣٦- ينظر : كتاب الصناعيين أبو هلال العسكري، ص٥٧، ٥٨.

٣٧- مخطوطة – هواك هداني – كتبت في أوساط الثمانينات في القرن الماضي وقرأت في المجالس الحسينية السرية – الخاصة بسنوات عديدة وقد كتبها الشاعر بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان وسكوت أغلبية الأنظمة العميلة على هذا الاجتياح. وهناك عدد كبير من القصائد التي كتبها الشاعر وقرأت في المناسبات مختلفة تتعلق بأهل البيت في المجالس السرية في الزمن الدكتاتوري المقبور في قاء الباحثة مع الشاعر – في ٢ / ٥ / ٢٠١٣ تقع القصيدة في سبع وثلاثين بيت.

أنا عند مشرعتي أهيم أصعد التيار في قوسي

فيتألف المدى، أنا في مداري، تستفق جابه، وهبت صداها عند تل الزينبية [٣٩] من نذور القادمين إلى المخيم [٤٠].

وله في ذكر الطاق وحامي السور أنت تدخلني في مدار الآلة [٤١].

وللشاعر اقتباسات من آي الذكر الحكيم ففي قصيدة مريم يذكر [٤٢] لا أدري من منا كنا قد ابتدأ لحظة الغناء قال : سلاماً ! قلت : ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾ [٤٣]. بعدها زالت مواطن الشك والألم. غفورت مقدار (سنة) كانت تكفي لتقودني إلى أسرار الحقيقة الباهرة ! استلبتني محنة الجوع والعطش.

وإذا بندائه القاطع يخترقني ﴿ **أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾ [٤٤] داهمني هاجس الخوف وأنا في لحظة فرح عامة أهو المكان [٤٥].

وقد استعمل الشاعر الألفاظ الدارجة (العامية) في شعره كما في قصيدة له عن دور كربلاء في الثورة العشرين [٤٦].

صحن الحسين كان بيت الثورة وملتقى العلم وأهل الخبرة
به تجلت كربلاء وأضحت قائدة العراق تعلي قدره
فالتف كل الشعب في نشيد من جود عاشوراء أحيا القدرة
وانتصر (المكوار) وهو يتلو آيات (أهل البيت) يتلو فخره [٤٧]

ولم تكتف كربلاء باسم واحد فكان لها أسماء أخرى تعرف بها [٤٨]، وكل أسماء كربلاء كانت في ذاكرة الشاعر فيذكرها :

آي كربائيلو... يا قلب الحكمة ولوعة الحلم

٣٨- كربائيلو، ص٥٦.
٣٩- تل الزينبية، نسبه الحوراء زينب وهو المكان الذي وقفت فيه عليها السلام في واقعة الطف.
٤٠- المخيم، المكان الذي عسر فيه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء قبل بدء المعركة.
٤١- كربائيلو، ص٥٠.
٤٢- كربائيلو، ص٨٤.
٤٣- سورة مريم.
٤٤- سورة مريم.
٤٥- كتبت هذه القصيدة في عام ١٩٩٧ ونشرت في جريدة الأديب البغدادي في العدد ٧- عام ٢٠٠٤.
٤٦- لعبت مدينة كربلاء دوراً رياديا في الأعداد والتنظيم لثورة العشرين وقد ذكرت المصادر أهمية دورها في الثورة فيها، ثورة العراق، الجنرال البريطاني هالدن، ترجمة فؤاد جميل، بغداد، ١٩٦٥م، ص١١٧ ؛ الثورة العراقية الكبرى، عبد الرزاق الحسيني، بيروت، ١٩٦٥، ص١٣٨ ؛ لمحات من تاريخ العراق، علي الوردي، بغداد، ١٩٧٧، ج٥، ص٢٩٢ ؛ الثورة العربية الكبرى، عبد الله الفياض، بغداد، ١٩٦٣م، ص٣٥٩ ؛ كربلاء وثورة العشرين، سعيد رشيد زميزم، مؤسسة الثقلة، ٢٠٠٨، ص٤١.
٤٧- أرجوزة كربلاء، ص٢٠.
٤٨- ينظر : معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٧، ص٢٢٩. ذكر أن اسمها يعني كربله - وتعني رخاوة في القدمين. أما الزبيدي في كتاب تاج العروس، ج٨، ص٩٧ ذكر أنها اشتقاق من كربل وهو نبات أحمر اللون مشرق موجود بكثرة، وقد تطرق ابن منظور في لسان العرب، ج١١، ص٥٨٧ والجواهري في الصحاح، ج٥، ص١٨١٠ إلى اشتقاق أصل تسمية كربلاء.

أيتها الباهرة
وديانك... منحت الوجود، جدوى المكابر [٤٩].

الخاتمة

من خلال مسيرة البحث تمكنت الباحثة من الوصول إلى جملة من النتائج وهي على النحو الآتي:

- يعد الشاعر رضا الخفاجي واحداً من الشعراء الكربلائيين البارزين في العصر الحديث ومن الشعراء الذين تركوا بصماتهم الجليل في الشعر الحسيني.
- أمتاز الشاعر بتنوع كتاباته الشعر من شعر عمودي وشعر الحر وقصيدة النثر.
- كربلاء حاضرة في ذهن الشاعر وكل كتاباته الشعرية ضمت كربلاء في ثناياها.
- لم يكتفِ الشاعر بذكر اسم واحد لكربلاء بل راح إلى أبعد من ذلك باحثاً عن أسمائها الأخرى كنينوى وكربائيلو وأرض الطف.
- بالرغم مما تمثله كربلاء من حزن وأسى على ما حصل منه من استشهاد لسيد الشهداء إلا أن الشاعر جعل منها بداية للإسلام ونهضة للحق فهي تمثل له الإصرار والقوة والعزيمة.

ارتبط اسم كربلاء بذكر الإمام الحسين عليه السلام فكربلاء تعني الحسين السبط، والحسين هو كربلاء، وقد جسد الشاعر هذه الرؤية في جميع أعماله الأدبية.

- للشاعر نتاج مسرحي وسينمائي لا يقل أهمية عن نتاجه الشعري وكل نتاجاته الأدبية مسخرة لكربلاء فلم يكتب الشاعر مادحا أو راثياً لأحد.
- لم يتكسب الشاعر من أعماله الأدبية بل في كثير من الأحيان يعمل تطوعاً من أجل القضية الحسينية.
- امتازت ألفاظ الشاعر بالسهولة والوضوح ونأى بنفسه عن التعقيد اللفظي.
- كان تأثير القرآني بارزاً في كثير من أشعاره (كاقتباس بعض الآيات القرآنية الكريمة).

كربلاء مدينة مقدسة وتضم بين أبنائها عدداً كبيراً من الشعراء المجيدين فعلى الباحثين أن يسخروا أقلامهم للتعريف بهم وبنتاجاتهم الأدبية.

وأخيراً يمكن القول بأن الشاعر (رضا الخفاجي) من الشعراء المخلصين الذين وظفوا كل إمكانياتهم لخدمة القضية الحسينية وبالتالي نصرة الحق والإسلام وهو شرف تشرف به الشاعر مثلما تشرفت الباحثة بكتابة هذا الموضوع.

رفدت البحث مجموعة من المصادر وهي :

١. القرآن الكريم.
- البداية والنهاية، عماد الدين إسماعيل بن كثر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، راجع نصه وضبطه الدكتور سهيل دكار، دار ومكتبة هلال، بيروت، ٢٠٠٨م.
- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار جبل، بيروت.

٤٩- كربايلو، ص٤٥، وقد نشرت هذه القصية عام ١٩٩٨م في مجلة جسور الصادرة في استراليا.

- التصوير الفني في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) جبير صالح حمادي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر، عبدة بدوي، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيث درو، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، بيروت، مكتبة متمية.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق : داجيل بيع المنشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن حلي بن أبي أكرم محمد بن محمد عبد الكريم عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣م.
- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أثير وعبد الحليم منتصر عطية الصوالحي محمد خلف الله أحمد، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا.
- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، بيروت.
- النقد الفني وأثر الجاحظ فيه، د. عبد الحكيم بلبع، طبعة لجان البيان العربي، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.
- بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، عبد الحسين الكليدار، بغداد، ١٩٦٦م.
- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة، القاهرة، طبعة الأنجلو.
- تاريخ دمشق الكبير، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بان عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق : أبو عبد الله عاشور الجنوبي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد أبي يعقب بن جعفر بن وهب ابن وضاح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- تراث كربلاء، سلمان هادي آل طعمة، بغداد، ١٩٨٨م.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث اللغوي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.
- كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو الهلال عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م.
- كربلاء وثورة العشرين، سعيد رشيد زميزم، بيروت، ١٩٩٠م.
- كربلاء في تاريخ عبد الرزاق وهاب، بغداد، ١٩٣٥م.
- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي (ت ٧١١هـ)، عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- لمحات تاريخية عن كربلاء، سعيد رشيد زميزم، بغداد، مطبعة الجاحظ، ١٩٩٠م.
- لغة الشعر بين جيلين، إبراهيم السامرائي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.

مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته في كربلاء، المكتبة العلمية، مطبعة الدار المصري، بغداد.

- معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، سلمان آل طعمة.
- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، صححه محمد أمين الخانجي، مصر، مطبعة السعادة.

مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته في كربلاء المشتهر بمقتل أبي مخنف، منشورات المكتبة العلمية، مطبعة دار المصري، بغداد.

- مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، بغداد، منشورات المكتبة العالمية، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.